مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢: ٤–١٠)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ لكونِه غنيًّا بالرحمةِ ومن أجلِ كثرَةِ محبتِه التي أحبَّنا بها* حين كُنَّا أمواتاً بالزلاَّتِ أحيانا مع المسيح. (فإنَّكم بالنِعمةِ مخلَّصون)* وأقامَنا معه وأجلَسنا معه في السماويَّاتِ في المسيحِ يسوع* ليُظهِرَ في الدهورِ المستقبلَةِ فَرْطَ غِنى نِعمتِه باللطفِ بنا في المسيحِ يسوع* فإنَّكم بالنعمةِ مُخلَّصونَ بواسِطةِ الإيمان. وذلك ليس منكم إنَّما هو عَطيَّةُ الله* وليس من الأعمالِ لئلاَّ يفتخِرَ أحدٌ* لأنَّا نحن صُنعُهُ مخلوقينَ في المسيحِ يسوعَ للأعمالِ الصالِحةِ التي سبَقَ اللهُ فأعدَّها لنسلُكَ فيها.

القديس أمفيلوخيوس أسقف أيقونية

القديس أمفيلوخيوس هو أحد رجال القرن الرابع الذين لمعوا في القداسة ودافعوا عن الإيمان القويم في وجه الهرطقات. شارك في المجمع المسكوني الثاني الذي انعقد في القسطنطينية سنة ٣٨١ والذي تحدَّد فيه دستور الإيمان بشكله الكامل كما نعرفه اليوم، بعد أن أكَّد ألوهية الروح القدس ومساواته للآب والإبن.

وُلد القديس أمفيلوخيوس في قيصرية الكبادوك في تركيا بين سنة ٣٤٠ و٣٥٠ من عائلة أرستقراطية. نشأ على محبَّة العلم والثقافة فتتلمذ على يد المعلِّم الوثني ليبانيوس الإنطاكي أستاذ القديس يوحنا الذهبي الفم. نجح في عمله (كمحام) الذي بدأه في القسطنطينية عام ٣٦٤ وتدرج حتى أصبح قاضياً وقد اشتهر نتيجة نزاهته وحكمته واستقامته واندفاعه في طلب العدالة. نجاحه في مهنته سبَّب له مشاكل إذ حرَّك الحسدُ زملاءَه الذين اتهموه ظلماً بأنه أبرأ رجلاً مذنباً بنواله رشوة. بلغ ذلك إلى الإمبراطور لكن القديس غريغوريوس اللاهوتي الذي كان قريبه لعب دوراً مهماً في إظهار الحقيقة فخرج أمفيلوخيوس من التجربة أكثر كرامة.

يئس أمفيلوخيوس من إحقاق العدل بين الناس فترك عمله بعد ست سنوات من ممارسة المحاماة وأراد أن يتكرَّس لخدمة الرب بناءً على نصيحة ابن عمته القديس غريغوريوس، فقرَّر أن يتنسَّك في الصحراء مع صديق له اسمه هيراكليدوس . إلا أن وَضْع أبيه الصحي لم يسمح له بذلك فبقي في بيته معيناً لأبيه ومثابراً على دراسة الكتاب المقدس وعلى عيش حياة التأمل والنسك.

تعرّف أمفيلوخيوس على القديس باسيليوس الكبير الذي كان كاهناً في ذلك الوقت فأحبه وصار تلميذه وقد تبادلا رسائل عديدة.

في العام ٣٧٠ أصبح القديس باسيليوس رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك وكان بحاجة ماسة إلى أساقفة مستقيمي الرأي لأنه دخل في مواجهة شرسة مع الآريوسيين (أتباع

العدد ٢٠٠٨/٤٧

الأحد ٢٣ تشرين الثاني

تذكار أبوينا الجليلين في القديسين غريغوريوس أسقف أكراغندينون وأمفيلوشيوس أسقف أيقونية

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الأول

الإنجيل

(لوقا ١٢: ١٦-٢١)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ غنيٌّ أخْصَبَتْ أرضُهُ* ففكَّرَ في نفسِهِ قائلاً ماذا أصنعُ. فإنَّهُ ليس لي موضِعٌ أخْزُنُ فيه أثماري* ثمَّ قال أصنَعُ هذا: أهدِمُ أهرائي وأبني أكبرَ منها وأجمعُ هناك كلَّ غلاَّتي وخَيْراتي* وأقولُ لنفسي: يا نفسُ إنَّ لكِ خيراتٍ كثيرةً موضوعةً لسنينَ كثيرةٍ فاستريحي وكُلي واشرَبي وافرَحي* فقالَ له اللهُ يا جاهلُ في هذه الليلةِ تُطلَبُ نفسُك منك. فهذه التي أعدَدْتَها لِمَن تكون* فهكذا مَن يدَّخِرُ لنفسِهِ ولا يستَغْني بالله* ولمَّا قال هذا نادى مَنْ له أُذُنانِ للسمْعِ فليسمَعْ.

تأمل

ما تقوله هو أشنع من الهلاك الأبدي: «أهدِمُ أهرائي وأبني أكبر منها». حسناً تفعل إن كنت تهدم أهراء الظلم، إن كنت تُسقط بيديك ما قد بنيته بطرق سيّئة. أمحُ كل بناء أصبح

آريوس الهرطوقي) المدعومين من الإمبراطور والنس والذين كانوا ينكرون ألوهة المسيح. وضع باسيليوس عينه على صديقه أمفيلوخيوس ليضمه إليه فيربح بذلك بطلاً مقداماً وجندياً باسلاً، إلاّ أن أمفيلوخيوس مانع في ذلك هرباً من مسؤوليات الكهنوت الكبيرة واعتقاداً منه أنه غير أهل لتلك الدرجات السامية.

عام ٣٧٤ فرغ كرسي أيقونية بوفاة راعيها فاختير أمفيلوخيوس لملء هذا المنصب إلا انه اضطرب وخاف وتمنّع، ثم عاد وأذعن لمشيئة الله بناء على توجيه القديس باسيليوس الكبير الذي كتب له في إحدى رسائله قائلاً ان الله يختار في كل جيل من يرتضيه «مستخدماً إياهم في خدمة القديسين، هذا الذي يصطادك في شباك نعمته التي لا يمكنك الإنفلات منها بالرغم من محاولتك للهروب لا منا وإنما من الدعوة التي وجهها الله من خلالنا، فجاء بك إلى منتصف بيسيدية، حتى تأسر للرب الذين سبق فأسرهم الشيطان، وتخرجهم من الأعماق إلى النور حسب مشيئته».

سافر أمفيلوخيوس إلى قيصرية الكبادوك وزار باسيليوس فاستنار بإرشاداته لمواجهة مشاكل أسقفيته ثم عاد إلى كرسيّه في أيقونية فكان خير مرشد لأبناء رعيته عبر ثباته في الإيمان وسيرته الطاهرة ومواهبه الخطابية والكتابية فواجه الهرطقات وتصدَّى لها.

بعد وفاة القديس باسيليوس الكبير عام ٣٧٩ استمر أمفيلوخيوس على نهجه وشارك في المجمع المسكوني الثاني سنة ٣٨١ حيث كان أحد الأعضاء البارزين فيه.

اشتهر أمفيلوخيوس بحكمته وجرأته وقد روى عنه ثيودوريتوس أسقف قارة (٣٩٣-٤٦٦) انه طلب من الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير التشدُّد في ملاحقة الآريوسيين إلاّ ان الأخير لم يكن متحمساً لذلك فدخل عليه أمفيلوخيوس وكان بجانب الإمبراطور ابنه أركاديوس فحياه أمفيلوخيوس وتجاهل ابنه الأمر الذي أثار غضب الإمبراطور إذ اعتبر ان في الأمر إهانة له ولابنه. قال له أمفيلوخيوس: «أترى يا جلالة الإمبراطور، وأنت ملك أرضي، كيف أنك لا تحتمل أن يحتقر أحد ابنك فتغضب وتعتبر الإساءة إليك، فكم بالأحرى يرذل الله وهو الملك والأب، أولئك الذين يجدِّفون على ابنه ويقولون انه دونه منزلة!». حينئذٍ تنبَّه الإمبراطور وعمل على منع الآريوسيين من الإجتماع.

آخر ذكر للقديس أمفيلوخيوس كان عام ٣٩٤ في مجمع محلي عُقد في القسطنطينية، لذلك من المرجح أنه رقد بالرب في أواخر القرن الرابع بعد ان عمل في حياته على تثبيت الإيمان القويم.

معظم كتاباته مفقودة ولم يصل إلينا إلاّ القليل منها ولكن تبقى سيرته خير مرشد للمؤمنين.

رسالة يعقوب: المحاباة

بعد إرشاد جميع الذين وُلدوا «بكلمة الحق» أن يكونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط «ولكن كونوا عاملينَ بالكلمةِ لا سامعينَ فقط خادِعين نفوسَكم» (يع ١:٢٢) وذلك بأن يلجموا ألسنتهم ويهتموا بالفقراء واليتامى والأرامل حتى تكون ديانتهم طاهرة، ينتقل

موطن الطمع، إنزع عنه السطح وأسقطْ جدرانه الخارجية وليخرج إلى الشمس القمح المعفّن. أخرج من السجن الثروة المسجونة، أبعث خارجاً كل ما يوجد في مستودعات الشيطان المظلمة. «أهدم أهرائي وأبني أكبر منها». وإن ملأت هذه الجديدة فماذا تفكّر بعد ذلك، أتهدمها من جديد لتبني غيرها، أيوجد هناك أكثر جهلاً من ذلك؟ أن تجاهد بلا نهاية في البنيان والهدم؟ لديك بتصرّفك خزائن إن شئت وهي بيوت الفقراء. إجمع لنفسك كنزاً في السماء وما تخزنه هناك (أي لدى الفقراء) لا يأكله السوس ولا يتلفه العثّ ولا يسرقه اللصوص. «ولكني سوف أعطي أولئك ما هم بحاجة إليه عندما أملأ أهرائي الجديدة». ولكنك تحدّد زمان حياتك مطوّلاً فانتبه للذي سوف يحصدك في هذا الزمن الذي أنت تثق به. وعدك هذا يشهد لفضيلة لكنه برهان على خبثك وشرّك لأنك تعد بأنك ستعطي لاحقاً لكنك تتهرّب في الوقت الحاضر. ما الذي يمنعك من أن تعطي الآن؟ أليس الفقير بقربك؟ أليست أهراؤك

الرسول يعقوب ليحذّرهم من أحد أخطر التصرفات التي يقع فيها المؤمن، ألا وهي «المحاباة». يقول: «يا إخوتي لا يكُنْ لكم إيمانُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ ربِّ المجدِ في المُحاباةِ» (يع ٢:١). والمحاباة آفة عانى منها الرسول يعقوب مع الجماعة التي كان يكتب إليها، وهي آفة ما زالت تضرب مجتمعاتنا حتى اليوم، إذ يبحث كثير من الناس عن حظوة في عيني غيرهم عبر استرضائهم بالإكرام والكلام المنمّق والتصرف الحسن النابع من غاية في نفس هذا الإنسان بهدف الوصول إلى غاية معينة.

يبدأ الرسول بعبارة «يا إخوتي» ليذكرهم بأن جميع المؤمنين هم إخوة كونهم وُلدوا جميعاً «بكلمة الحق»، ولكي يمهّد لما سيقوله لهم عن واجباتهم تجاه كلمة الحق، ولكي تكون ممارساتهم منسجمة مع إيمانهم. همّ الرسول يعقوب أن تكون هذه الأخوّة محققة فعلاً، لا قولاً فقط، بين أعضاء الجماعة المسيحية. وأولى واجبات المؤمن هي أن لا يحابي الوجوه. في الإيمان المسيحي لا وجود للمحاباة، وهما يتعارضان مع بعضهما. فمن اعتبر الغني لأنه غني، واحتقر الفقير لأنه فقير، عارض معطيات الإيمان الأولى. يقول: «فإنَّه إن دخلَ إلى مَجْمَعِكم رَجُلٌ بخواتمِ ذَهَبٍ بَهيٍّ ودَخَلَ أيضاً فقيرٌ بلِباسٍ وَسِخٍ فنظَرتُم إلى اللابِسِ اللِباسَ البَهيَّ وقلتُم له اجلِسْ أنت هنا حسناً وقلتُمْ للفقيرِ قِفْ أنت هناكَ أو اجلِسْ هنا تحت موطِئِ قدَميَّ. فهل لا ترتابونَ في أنفُسِكم وتصيرونَ قُضاةَ أفكارٍ شريرةٍ» (يع ٢: ٢-٤). كيف لا تكونَ هناك محاباة بين المؤمنين إن حدث هذا التمييز في التعامل مع البشر؟ لا يقول يعقوب «إذا دخل غني» لئلا يجرح كرامة أغنياء كثر اعتبروا أنفسهم وكلاء على أموالهم، وأوكلهم الله بها لكي يعتنوا بإخوتهم المساكين. لكنه يقول إن دخل «رجل بخواتمِ ذَهَبٍ ولباسٍ بهي» ليشير إلى إنسان عليه علامات الغنى مع الكبرياء لكي يحصل على الإكرام والمجد الزمني من البشر. مقابل هذا اللابس اللباس البهي هناك الإنسان الفقير باللباس الوسخ. يقول الرسول انه دخل إنسانان منهما إلى حيث المؤمنون مجتمعون فلا يجوز التعامل مع أحدهم أفضل من الآخر. لا يمكنك إجلاس الغني في صدر الدار والفقير في الأخير. مَنْ يفعل هكذا يصير قاضي «أفكار شريرة»، لأنه يحكم على الناس من مظهرهم، وهذا يتعارض مع الإيمان المسيحي.

إن الرب لما مات على الصليب وانتصر على الشرير، مات لأجل جميع البشر وليس لفئة معيَّنة منهم. لذا نراه قبل الصلب يوصيهم: «أن تُحبُّوا بعضُكم بعضاً، كما أحبَبْتُكم أنا تُحبُّونَ أنتم أيضاً بعضُكم بعضاً. بهذا يعرِفُ الجميعُ أنَّكم تلاميذي إن كانَ لكم حُبٌّ بعضاً لبعض» (يو ١٣: ٣٤-٣٥)، ثم يصلّي إلى الآب أن «يكون فيهم الحُبُّ الذي أحببتني به وأكونَ أنا فيهم» (يو ١٧: ٢٦). إذاً سعي المسيحي أن يكون حبه على صورة حب الآب الذي أرسل ابنه الوحيد ليُصلب لأجل كل البشر، وهي المهمة نفسها التي لدى الإبن الذي قدّم نفسه ذبيحة لأجل كل البشر. شريعة المحبة هذه التي علّمنا إياها الرب بالقول والفعل هي التي تحكم

ملأى؟ ألا يكون أجرك مضموناً والوصية واضحة؟ الجائع يتضوّر جوعاً والعريان يرتجف من البرد... وأنت ترجئ عمل الرحمة. اسمع ما يقوله سليمان: «لا تقل تعالَ غداً لكي أعطيك». أنت لا تعلم ما سوف يأتي به الغد. لِمَ تزدَر بكل النصائح وتغلق أذنيك بمحبة الفضة. كان عليك أن تكون شاكراً أمام المحسن إليك، أن تكون فرحاً وفخوراً للإكرام لأنك أنت لا تزعج أبواب الآخرين بل هم الذين يأتون إليك. لكنك الآن إنسان حزين مهموم يتجنب اللقاءات مع الآخرين لئلا يخرج من يده شيء ولو بسيط. كلمة واحدة تعرفها: لا أملك شيئاً، لا أعطي، إني محتاج. في الحقيقة أنت محتاج وفقير لكل شيء صالح، أنت بحاجة إلى محبة البشر، بحاجة إلى الإيمان بالله وإلى الرجاء الأبدي. إجعل اخوتك يشتركون بطعامك، هذا الذي سوف يهترئ غداً. أعطه اليوم للمحتاج إليه. إنه من أسوأ الطمع أن لا تعطي الفقراء حتى مما يهترئ عندك.

علاقاتنا البشرية.

المشكلة ليست في إكرام الغني، بل في تحقير الفقير. عندما تكرّم الغني وتحتقر الفقير فأنت تهين الفقير. المسيحي يكرِّم الإنسان كونه إنساناً مخلوقاً على صورة الله ومثاله بغض النظر عن وضعه الإجتماعي. متى دخلت المقاييس الإجتماعية البشرية فسدت كل الأمور. لأن إهانة الفقير هي محور موضوع محاباة الوجوه، لذا نرى الرسول يعقوب يدافع عن الفقير: «اسمعوا يا إخوتي الأحبَّاءَ، أما اختارَ اللهُ فقراءَ هذا العالَمِ أغنياءَ في الإيمانِ ووَرَثَةَ الملكوتِ الذي وعَدَ به الذينَ يحبُّونَه. وأمَّا أنتم فأهَنْتُم الفقيرَ. أليسَ الأغنياءُ يتسلَّطونَ عليكم وهم يجرُّونكم إلى المحاكِمِ. أما هم يُجَدِّفونَ على الإسمِ الحَسَنِ الذي دُعِيَ به عليكم. فإن كنتم تُكمِلونَ الناموسَ الملوكيَّ حسَبَ الكتابِ، تُحِبُّ قريبكَ كنفسِكَ، فحَسَناً تفعلونَ. ولكن إن كنتم تُحابونَ تفعلونَ خطيئةً موبَّخينَ من الناموسِ كمُتعدِّينَ لأنَّ مَن حَفِظَ كُلَّ الناموسِ وإنَّما عَثَرَ في واحدةٍ فقد صارَ مجرماً في الكُلِّ لأنَّ الذي قالَ لا تَزْنِ قالَ أيضاً لا تَقْتُلْ. فإن لم تَزْنِ ولكن قتلتَ فقد صِرتَ مُتعدِّياً الناموسَ» (يع ٢: ٥–١١). بالنسبة ليعقوب الإيمان هو أعظم كنز يمتلكه الإنسان في هذا العالم، لأن هذا الكنز يورثه ملكوت السموات. المشكلة لدى بعض الأغنياء ان كنزهم الأرضي قد يقف عائقاً في طريقهم نحو الملكوت. ولن يدخل كل الفقراء مباشرة إلى الملكوت. «المساكين بالروح» يدخلون ملكوت السموات (متى ٥: ٣)، الذين لا يشتهون أموال غيرهم ويعتمدون على ربهم فقط.

مشكلة يعقوب مع جماعته أنهم كانوا يتملقون الأغنياء على حساب الفقراء، وهؤلاء الأغنياء هم أنفسهم الذين يتسلّطون عليهم ويجرّونهم إلى المحاكم ويجدّفون على اسم المسيح. المشكلة هي تملق هذا النوع من الأغنياء. لومه الأكبر هو على المؤمنين المتملّقين لأن محاباتهم للأغنياء لا تقوم على أساس الحب والإحترام بل على التملّق والمداهنة والمصلحة. لذلك يتهمهم بالخطيئة لأنهم لا يعملون بحسب وصية الرب ان «تحب قريبك كنفسك». بهذه الوصية مع الوصية الأولى أن «تحب الرب إلهك من كلِّ قلبكَ... يتعلَّقُ الناموسُ كلُّه والأنبياء» (متى ٢٢: ٣٧–٤٠). الرب يسوع ربط الشريعة كلها بوصية المحبة، وبما ان المحاباة تتعدى على المحبة فهي تصيب الناموس كله، وبالتالي من عَثَرَ في المحاباة «صار مجرماً في الكل» و«متعدياً للناموس».

عيد القديسة كاترينا

بمناسبة عيد القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الإثنين ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٨ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء ٢٥ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb